محاضرة رقم: 02

النزعة الانسانية

1 ـ اضمحلال الفلسفة المدرسية:

نحن نعرف أن القديس "توما الاكويني" (1225-1274) كأعظم ممثلي الفلسفة المدرسية، وأنه حاول التوفيق بين آراء "أرسطو" وتعاليم الدين المسيحي أو بمعنى آخر، حاول بطريقته الخاصة تقديم تفسيرا لآراء "أرسطو" وفق ما يتماشى مع العقيدة المسيحية، لكن هذه التفسيرات التي قدمها، جعلته يحيد في كثير من الأمور والمواضع، خصوصا تلك المتعلقة بصلة العقل في بالنصوص الدينية وما تتضمنه من آراء.

هذه التصورات النهضوية التي تريد إزاحة التيار السكولائي عن المشهد الثقافي، "أما التيار الفكري الانساني الذي قاده كل من "بيترارك" وبوكاسيو" فقد تجلى في الوقوف ضد عناد التقليد السكولائي، لقد بدا فكر القرون الوسطى بالنسبة إلى الانسانيين فكراً تحجر في سفسطات لاهوتية ومنطقية، ومن هنا كان لابد من التفكير بإعادة بعث الانسان مجدداً واخراجه من أطر الفكر القديم"[1]

هذه الأجواء كانت ملائمة لكي يباشر الانسانيون تفكيك شفرة المنحى الديني، بعد أن برزت بوادر تراجع الاتجاه المدرسي وتضاؤل قوته، مما جعل الظرف مواتياً كي تستأنف حركة الإحياء استنساخ التراث اليوناني من منابعه الأصيلة، والتفاعل معه بشكل ايجابي، لذلك دعت الحاجة المعرفية بالنسبة للنزعة الانسانية الانفتاح على هذا التراث اليوناني من باب الافادة من أفكاره وثقافته، "وإعادة رؤية الانسان وجعله مركز الكون" [2]، لذلك يمكن تلخيص العوامل الي أدت إلى تدهور الفلسفة المدرسية وظهور المذهب الانساني إلى ما يلي:

أولاً: حدوث انشقاقات على مستوى الفلسفة المدرسية، خصوصا بعد ظهور الفرنسيسكان ومن بينهم "جون سكوتس" سنة 1308 م وهؤلاء الفرنسيسكان كانوا على طرفي نقيض مع طائفة الدومينكان، هؤلاء كانوا ينتسبون إلى القديس "توما الاكويني".

---

[1] – بيتر كونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط1، 1991، ص 45.

[2] -Yvon Belaval : Histoire de la Philosophie, Encyclopédie de la pléiade, Ed, Gallimard, 1973, p.185.

وقد كان "جون ســكوتس" يقول بحرية الارادة وحرية الخلق معارضــاً في ذلك موقف القديس "توما" وجاء فرنسيسكي آخر وهو " وليام الأوكامي" سنة 1322م وكان يعتنق المذهب الاسميي وهذا المذهب كان معارضاً أيضاً لموقف القديس "توما".

ثانياً: تزايد إحساس مفكري الفترة الأخيرة من القرون الوسطى بضعف الفكر الانساني وعجزه عن تفسير الأسرار وحقائق الدين العليا، ولهذا فقد اتجهوا إلى تجاوز هذه الأسرار، أي تجنبوا الخوض فيها والاتجاه مباشـــرة إلى العالم الخارجي للبحث عن الحقيقة، بعيدا عن الهيمنة الدينية التي احكمت ســـيطرتها على العقول واعتبار خطابها الديني، هو الخطاب الذي يجب أن يســـود مناحي الحياة الاجتماعية.

لكن هذه التداعيات المعرفية التي دعت إلى تغيير الوضـــع الثقافي والديني والاتجاه إلى العالم الخارجي، عجل باستخدام الملاحظة والتجربة وتوظيف الاستدلالات التجريبية، أفضت إلى صياغة المنهج الجديد في تقصـــي الحقائق، هذا الفعل الفكري كان بمثابة الثورة على الدين وعلى المفاهيم المدرسية السائدة، فبعد أن كان الفيلسوف يشتغل على مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين، أصبح في عصر انتهاء الفلسفة المدرسية وحلول عصر النهضة يقبل بشكل لافت على ازدواجية الحقيقة، فهناك حقيقة لها وجه ديني، وهي من اختصــاص الكنيســة، و حقيقة أخرى لها وجه منهجي تكشــف عنه الملاحظة والتجربة، لكن هذا التحول لم يكن ســـهلاً، بل تلقى مواجهة عنيفة من قبل الكنيســـة، خصوصاً بعد انتشار محاكم التفتيش.

ثالثاً: إن كثافة نشــاط حركة الاحياء واقبالها على الأداب القديمة أيضــاً من أسـباب تدهور الفلسـفة المدرسـية، وقد اتخذ شـراح هذه الآداب طريقا مسـتقلاً عن الدين يتناولون بمقتضـاه نصـوص فلسـفة اليونان ويشـــيدون بما فيها من مبادئ خلقية واجتماعية وجمالية على الرغم من أنها تعبر عن آراء مفكرين وثنيين "كأفلاطون" و"أرسـطو"، وفي هذه الفترة بدأت أفكار النزعة الانسـانية تعرف طريقها إلى الانفصال عن الدين.

لقد تمخض عن هذا الوضع قيام الحركة الانسانية على أنقاض الفكر المدرسي، استطاعت فيه أن تستثمر التراث الفلسفي القديم بطريقة تستجيب لدواعي العصر، فكان استخدام الفلسفة القديمة من أجل توسيع المدارك المعرفية في معرفة العالم والانسان والنفاذ إلى عمق الطبيعة وفهم ظواهرها وقوانينها.

2 ـ بروز النزعة الانسانية:

لقد بدأت النزعة الانسانية من سنة 1453وتستمر إلى سنة 1600 م، وقد تركزت زعامة الحركة الفلسفية في هذه الفترة في ايطاليا حيث توجد النصوص اللاتينية واليونانية التي كانت محورا للتفلسف خلال هذا الشطر الأول من هذا العصر، هذا بالإضافة إلى ما كان قد تجمع في هذه المنطقة خلال هذه الفترة من رصيد متواضع أسهم فيه الرعيل الأول من علماء ايطاليا بنصيب وافر.

"والواقع أن عصر النهضة يتمثل أول شيء بإيديولوجية جديدة هي الحركة الانسانية L'humanisme أي تلك الحركة التي تجعل من تراث الانسانية، وهو وثني بغالبيته، أمرا عظيماً يستحق كل إعجاب وتقدير، وهذا الموقف كان همه رفع شعار الانسان الرائع الناجح ضد شعار الانسان المكبل بالخطيئة الأصلية والساقط دوماً في مستنقع الخطايا "[1] .

يأتي هذا الاعجاب في آثار المذهب الانساني العمل على سلخ الفلسفة عن الدين، والعمل على اقامة الفلسفة خصيمة للدين، والحملة على الفلسفة المدرسية بالتهكم على لغتها وعلى بحوثها وطريقة استدلالها، بل تزايد الحملة على ثقافة العصر الوسيط في جميع مظاهرها، ونعته بالجهل والبربرية، وتسرب المذهب الانساني إلى داخل المسيحية وعمل على تفكيك أركانها، فكانت البروتستانتية في البدء احتجاجا على الغفرانات ودعوى اصلاح في ادارة الكنيسة والعبادة. ثم زعمت أن الدين يقوم على الفحص الحر للكتا بالقدس، على التجربة الشخصية، بغير حاجة إلى سلطة تحدد معاني الكتاب، ثم تناولت العقائد بالفحص الحر.

إن عصر النهضة يمثل عصر جديد، أراد أن يتمثل القديم وتكييف كثير من الأفكار والفلسفات لإيجاد منطلق علمي في فهم الطبيعة في جميع جوانبها وتأسيس العلم الحديث على قواعد رياضية يعين بشكل من الأشكال على دراسة الطبيعة، هذه المناحي الفكرية قوضت إلى حد بعيد سلطة رجال الدين وتفكيك شفرة الخطاب الكنسي الذي صادر الحريات الفكرية، لهذا كانت مطامح رواد عصر النهضة كبيرة جداً في انجاح المسعى العقلاني الفلسفي وتأسيس المناهج العلمية في معظم فروع المعرفة.

---

[1] – جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص 27.